قصص

أشبال الإيمان

أحمد الجوهري عبد الجواد

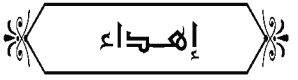

إليك أهدي هذا الكتاب...

نعم، إليك أنت يا طفلي المسلم الجميل، أيُّها العبقريُّ الذكيُّ!

وأتمنَّى أن تجد فيه المتعة بالمعلومات النَّافعة التي حدَّثتك عنها خلاله والحكايات الجميلة المسلِّية التي حكيتها لك بداخله...

وحين يكبر ابني (**أيمن**) فيكون في مثل سنِّك ويقرأ هذا الكتاب كما تقرأه أنت الآن يجد فيه هديَّته ومتعته كما تجدها أنت الآن.

عمُّك أحمد

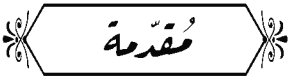

للآباء والأمهات الكرام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله ومن والاه، وبعد، فيا أيها الوالد الكريم والأم الحنون أكتب هذا الكتاب مساهمة مني معكما في تعليم أبنائكم الإسلام، عقيدة وشريعة، مضمنًا إياه قصصًا صالحة لتنشئتهم على معارف الإسلام، ومعاني الإيمان، ومحاسن الأخلاق، وجميل العادات، والتعلق بصالح القدوات!

وهذه القصص المفيدة، أودعتها عصارة ما طالعت، وبذلت في إخراجها الجهد لتناسب من ذكرت، فتقع منه موضع التشويق، وترسخ في قلبه بمكان عميق، وتأخذ طريقها إلى جوارحه فيزاد إيمانًا بعد إيمانه.

وقد بنيت محاور موضوعات هذه القصص على سبعة أسس، هي كالتالي:

١) معرفة أركان الإيمان الستة وتجذيرها في القلب والجوارح.

٢) معرفة أركان الإسلام الخمسة وترسيخ محبتها والحرص على العمل بها.

٣) تقديم قدوة طيِّبة للطفل من خلال سيرة بعض الصحابة الكرام.

٤) الحث على برِّ الوالدين من خلال التعريف بقيمتهما، ودورهما وأجر بِرِّهما.

٥) الحث على بعض القيم والآداب الطيبة: مثل التعاون، والصدق، والإحسان إلى الجيران.

٦) المحافظة على الأذكار.

٧) التنبيه إلى معالي الأمور والتحذير من سفاسفها، لتنشئة جيل يهتمُّ لدينه وما يتطلبه، وينفي عنه الاشتغال بتوافه الأمور.

وقد سُقت هذه القصص على ألسنة الأطفال والحيوان والطير لتَعْذُب حكايتُها وروايتُها، وذيلتها بفوائد عذبة لتروي قارئها وتثمر في عقله وقلبه ثمرتها.

أسأل الله تعالى أن يتقبَّلها بقبول حسن وأن ينبت ثمارها في قلوب الناشئة نباتًا حسنًا، وأن ينفع بهذه الثمار في نصرة الإسلام وعز المسلمين.

آمين.

أبو حفص

أحمد الجوهري عبد الجواد

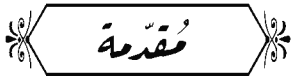

إلى شبل الإيمان

عزيزي طفل الإسلام وشبل الإيمان!

أكتب لك هذه القصصَ المفيدة، والحكاياتِ المسلِّية، والمعلوماتِ النافعة، لتتعرف من خلالها على عظمةِ دينِ الإسلام، وهو الدِّين الذي ختم الله به الرسالات، وبعث به خاتم رسله وأنبيائه وهو نبينا محمد ﷺ، وأنزل به أعظم الكتب وهو القرآن الكريم، وستجد في هذا الكتاب إن شاء الله لذَّة ومتعة وتسلية وأنت تعيش مع قصصه وأبطاله وكلماته، فهيَّا لنبدأ رحلة جميلة ممتعة.

عمُّك أحمد

(١) الله ربِّي

منذ سنواتٍ عديدةٍ عاش طفلٌ صغيرٌ في مثل أعماركم، اسمه سهل بن عبد الله، كان سهلٌ يحبُّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حُبًّا شديدًا، وكان وهو ابن ثلاث سنين فقط، يقوم في الليل ينظر إلى صلاة خاله محمد بن سِوار، وكان خالُه يقوم بالليل فيصلِّي لله تعالى، فلما علم خاله محمَّد بأنه يفعل ذلك علم أنَّ له مستقبلًا عظيمًا، فناداه يومًا وأوصاه بوصيَّة نافعة، قال له خاله: يا سهل، ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقال له سهل: يا خالي، كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله مَعي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي.

قال سهل: فقلت ذلك ليالي ثم أعْلمتُه، فقال: قُلها في كلِّ ليلة سبعَ مرات، فقلتُ ذلك، فوقع في قلبي حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك ودُم عليه طَوالَ حياتك، فإنَّه ينفعك في الدنيا والآخرة، قال سهل: فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري.

ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل، من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده لا يعصيه، إياك والمعصية[١].

حفظ سهلٌ وصيَّة خاله وكان يتذكرها دائمًا ويعمل بها في حياته، ولهذا عاش سعيدًا، فقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وطلب العلم حتى صار من العلماء الصالحين، وإن شاء الله يسعد في الآخرة بدخول جنَّة النعيم مع الطائعين.

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة (١٦٠)، تحقيق وتعليق أحمد محمد كنعان، ط دار الأرقم.

(٢) محمد نبيي

أنا جملٌ محظوظ، لست كبقيَّة الجِمال، فقد وهبني الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مزيَّةً لم يعطها لأبناء جنسي من النوق والجمال جميعها، ولهذا قصة جميلة عذبة سوف أقصها عليكم:

كنت أعيش في زمن بعيد عن زمانكم لكنه زمن حبيب إلى قلوبكم فقد كان يعيش في نفس هذا الزمان أحبُّ خلق الله إلى قلب كلِّ مسلم، سيدنا محمد رسول الله ﷺ، كان صاحبي -الذي يملكني- رجلًا من الأنصار، من أهل المدينة التي يسكنها نبينا محمد ﷺ، كنت أخرج كلَّ يوم مع صاحبي هذا إلى بئر في المدينة، فنأتي منه بالماء ليشرب منه أهلُ البيت ويصنعوا منه طعامهم ويغسلوا منه ثيابهم وآنيتهم، ويسقوا منه دوابهم، كنت أواظب على هذا العمل كلَّ يوم بلا كلل ولا ملل، وأؤدِّي عملي بانتظام دون كسل أو خلل، لكن أصحابي كانوا يهملون في طعامي وشرابي، وربما لا يقدمونه إليَّ، وكانوا يُدئبونني في

العمل الشاقِّ ويُتعبونني فيه، ومع ذلك فقد كانوا يأخذون حقَّهم منِّي كاملًا!

وفي يوم من الأيام علمتُ أنَّ أرحم الخلق نبيَّنا ﷺ سوف يأتي إلى البستان الذي يملكه صاحبي ففرحتُ جدًّا برؤيته والنظر إليه، وعزمت إن رأيتُه أن أشكو إليه صاحبي وما يفعله بي، وكانت سعادتي لا توصف حين دخل النبيُّ ﷺ البستان وأنا موجود، فلمَّا رأيته بثثته شكواي، يا لفرحتي! لقد سمعني، وأنصت إليَّ وعرف شكواي، وقد بكيت حتى ذَرفتْ عيناي وأنا أشكو إليه فمسح دمعي وهدأني حتى سكنت ولم أعد أبكي، ثم نادى على صاحبي وقال له: «أفلا تتقي الله في هذا الجمل الذي ملكك اللهُ إيَّاه؟ فإنَّه شكا لي أنك تجيعه وأنَّك تتعبه في العمل»[1]، فكان كلامه ﷺ مع صاحبي سببًا في أن يرفق بي، فصار يقدِّم إليَّ الطعامَ اللذيذَ الوفير، وخفَّفَ عنِّي كثيرًا من الأعمال، وأصبحت سعيدًا بعملي وخدمة صاحبي.

(١) حديث صحيح؛ رواه أحمد (١٧٥٤)، وأبو داود (٢٥٤٩)، والحاكم (٢٤٨٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحيحة (٢٠)، وصحيح أبي داود (٢٢٢٢).

هذه هي قصَّتي يا أحبَّتي!

لقد بعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رسوله محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، الإنس والجنِّ، والبشر والحيوانات والطير، وجميع المخلوقات، وكانت حياته ﷺ رحمة للخلق جميعًا، ولهذا فمن يعرفه يؤمن به، ويحبُّه، ويتأدَّب معه، ويطيع أوامره.

(٣) الإسلام ديني

هل تعرف من أنا؟

أنا جواد أصيل لو عرفتني لأحببتني.

ربما تحسبني واحدًا من أولئك الكثيرين الذين تراهم هنا وهناك!

لا، فأنا جدُّ مختلفٌ عنهم، ومن وجوه اختلافي أنِّي عشت بين أُمَّتين واحدة منهما تتلبَّس بظلام دامس، والأخرى تعيش في نورٍ تامٍّ، فكم كنت شقيًّا تعيسًا بحياتي الأولى، ثم أصبحت سعيدًا مسرورًا جدًّا بحياتي الثانية!

على أطراف روسيا ومنغوليا بدأت حياتي الأولى، حيث كنت أعيش في خدمة أهلي، وكانوا كفارًا لا يعبدون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لذا كنت لا أتعجَّب كثيرًا من انتشار الظلم بينهم، فقد كانوا يأكلون حق الضعيف، ويقهرون اليتيم، وينهرون السائل، ولا يعطفون على الأرملة والمسكين، وزاد ظلمهم وبطشهم

حين بدأوا الحرب مع جيرانهم فقتلوهم، وهدموا ديارهم، وأحرقوا أشجارهم وبساتينهم، وقد تشرَّد من بقي من أهل هذه البلاد ولم يعد لهم مأوى!

أرأيتم أحبابي كيف يفعل الكفر بالناس؟

إنه ينسيهم أنَّ البشر جميعًا إخوة، أصلهم من أبيهم آدم وأمِّهم حواء عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، ولهذا فينبغي أن يحلَّ بينهم السلم بدلًا من الحرب، والتعاون بدلًا من الظلم، والعطف والرحمة بدلًا من القهر والقسوة، لكنَّه الكفر يجعل الإنسان يعادي أخاه الإنسان!

هكذا كانت حياتي الأولى.

وقد كنت أعيش خلالها في حزن دائم على حالي رغم أني كنت عند ملك هذه البلاد، لم تكن محادثاتي مع إخوتي تخلو من التشكِّي والتألم جرَّاء هذه الحال، كانوا جميعًا يشعرون بما أشعر به ويتألمون لما أتألم منه، ولكم ازداد حزننا وتعاستنا حين علمنا أنَّ المغول الذين نعيش في خدمتهم سوف يزحفون

بجيوشهم على بلاد المسلمين ليفعلوا بها ما فعلوا بجميع جيرانهم، لكنني ما كنت أحسب أنَّ الخير يأتي من هنا، من تحرُّكهم لبلاد المسلمين، ورغم أنهم قتلوا أعدادًا كثيرة جدًّا من المسلمين وحرَّقوا بلادًا كثيرة جدًّا شعوبها وبساتينها ومنازلها، إلا أنَّ عاقبة ذلك الاختلاط بالمسلمين كان خيرًا كبيرًا وقد أتانا بالفرح والسعادة والسرور، هل تدرون كيف كان ذلك؟

أمر سيِّدي وزيره أن يجهِّزني وعددًا من إخواني الخيول الأصيلة لأنهم سيخرجون في رحلة للصيد داخل الحديقة الواسعة التي كان قد أمر الحرَّاس أن يولوها عنايتهم ويحيطوها برعايتهم، وأمر مناديًا ينادي في شرق البلاد وغربها يعلن أنَّ دخول هذه الحديقة ممنوع على غير جنوده، وعلى الجميع التزام ذلك، ومن يخالفه فسوف يقتله.

تجهَّزوا للركوب واعتلوا ظهورنا، كان الملك (**تغلق تيمور**) يستقرُّ على ظهري بكبر وخُيلاء، يكرهني على المشي بتبختر وتمايل، وقبل أن ندخل إلى هذه الحديقة جاء بعض حُرَّاسها

ليعلموه بأنَّ بعض النَّاس قد تجرَّأوا على الأراضي التي خصصها للصيد، فدخلوها وقد وصف الحرَّاس الأمر كأنَّ جريمة شنعاء قد حدثت، فاستشاط الملك غضبًا وأمر بأن توثق أيديهم وأرجلهم، وأن يمثلوا بين يديه.

جلس الملك ينتظر دخولهم وجاء الحرَّاس بهم إلى مجلسه، لقد كانوا مجموعة من التجَّار من مدينة بخُاري، ولكم كانت فرحتي شديدة حين علمت بأنهم مسلمون، وكان على رأسهم رجل من أهل الورع والتقوى في مدينة بخاري، يقال له **الشيخ جمال الدين الفارسي**، فلما دخلوا على الملك سألهم في غضب:

كيف جرؤتم على دخول هذه الأرض؟

ألم تعلموا أني منعت أن يدخلها أحد؟

تكلموا!

فسكت التجَّار وكأنَّهم أوكلوا الكلام لرئيسهم **الشيخ جمال الدين**، فأجاب الشيخ بشجاعة وثبات: نحن غرباء عن هذه البلد ولا نعلم شيئًا عن هذه الأرض، ومن ثمَّ لم نكن

نعلم بأننا نمشي على أرض ممنوع فيها المشي علينا.

فلما سمع كلامهم، عرف أنهم من بلاد فارس، فقال:

أنتم من الفرس؟

قال الشيخ: نعم.

فقال له الملك: إن الكلب أغلى من أي فارسي.

فأجاب الشيخ بهدوء: «نعم! قد كنا أخس من الكلب وأبخس ثمنًا منه لو أننا لم ندن بالدين الحق».

تعجَّب الملك من الثبات والشجاعة التي يتمتع بها **الشيخ جمال الدين**، وكان كلٌّ من حوله يتعجَّبون من ثباته كذلك، وزاد الملك عجبًا هذا الجواب العظيم الذي أجاب به **الشيخ جمال الدين** على كلام الملك.

لقد ظلَّ الملك (**تغلق تيمور**) يفكِّر في هذا الجواب، وشغل باله، ولم يشأ أن يفضي بما في داخله حتى يفكِّر فيه بهدوء، فأمر بأن تتجهَّز حاشيته للخروج إلى الصيد، حتى إذا عاد قدَّم ذلك الفارسي الجسور إليه عند عودته من الصيد.

ولما عاد الملك خلا بالشيخ جمال الدِّين وسأله:

ماذا تعني بهذه الكلمات؟

وما ذلك الدين الذي تتحدَّث عنه؟

فعرض عليه الشيخ قواعد الإسلام في غيرة وحماس انفطر لهما قلب الأمير، حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع، وصوَّر له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال معتقداته وفسادها، فما كان من الملك إلا أن قال في تأثر: إني أحب أن أدخل في هذا الدين، ولكني إذا اعتنقت الإسلام الآن فلن يكون من السهل أن أَهدي رعاياي إلى الصراط المستقيم فلتمهلني قليلًا، فإذا ما آلت إليَّ مملكة أجدادي فعُد إليَّ.

عاد الشيخ جمال الدين الفارسي إلى بلده، وهناك مرض مرضًا شديدًا، فلما أشرف على الوفاة قال لابنه رشيد الدين: سيصبح (**تغلق تيمور**) يومًا ما ملكًا عظيمًا، فلا تنس أن تذهب إليه وتُقرئه منِّي السلام، ولا تخش أن تذكِّره بوعده الذي قطعه لي.

ثم توفي الشيخ جمال الدين الفارسي رحمه الله تعالى.

ولم يلبث رشيد الدين إلا سنين قليلة، حتى ذهب إلى معسكر الملك ولكنه لم يستطع الوصول إليه، فلجأ إلى حيلة طريفة ليدخله الملك إليه.

ففي ذات يوم أخذ يؤذن في الصباح المبكر على مقربة من فسطاط الملك حتى أقلق صوته نوم الملك **(تغلق تيمور)**، وأثار غضبه فأمر الملك بإحضاره ومثوله بين يديه، وهناك أدَّى رشيد الدين رسالة أبيه، فحين سأله الملك في غضب:

لم تنادي بصوت عال حتى أزعجتني؟

قال له رشيد الدين: هذه حيلة لأصل إليك.

قال له الملك: ولم؟

قال: أنا ابن الشيخ جمال الدين الفارسي، وقد حدث بينك وبينه موقف كذا وكذا، وهو قد مات وحملني رسالته إليك، لأذكرك بوعدك له بالإسلام!

لم يكن تغلق تيمور قد نسي وعده، ولذلك استبشر بكلام

رشيد الدين، وقال له: «حقًّا ما زلت أذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائي، ولكن الشخص الذي قطعت له ذلك الوعد لم يحضر كما وعد، والآن فأنت على الرحب والسعه، ثم أقرَّ بالشهادتين فقال: **أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله**، وأصبح مسلمًا منذ ذلك الحين.

وقد جلب إسلام (**تغلق تيمور**) السعادة له ولأهله، ولمملكته جميعًا، وعاشوا في ظل رسالة الإسلام، الدين العظيم الذي بعث الله به نبيَّه محمَّدًا ليكون رحمة للعالمين، وتبدلت علاقته بجيرانه ومن حوله إلى سلام وأمان وتعاون على الخير.

فالإسلام أمر بكلِّ خير ونهى عن كلِّ شرٍّ، وأمر بسائر الآداب ومحاسن الأخلاق، مثل الصِّدق والحلم والأناة والرِّفق والتواضع والحياء والوفاء بالوعد والوقار والرحمة والعدل والشَّجاعة والصَّبر والأُلفة والقناعة والعِفَّة والإحسان والسَّماحة والأمانة والشكر على المعروف وكظم الغيظ.

ويأمر ببرِّ الوالدين وصلة الرَّحم، وإغاثة الملهوف،

والإحسان إلى الجار، وحفظ مال اليتيم ورعايته، ورحمة الصغير، واحترام الكبير، والرِّفق بالخدم والحيوانات، وإماطة الأذى عن الطريق، والكلمة الطيبة والعفو والصَّفح عند المقدرة، ونصيحة المسلم لأخيه المسلم، وقضاء حوائج المسلمين، وإنظار المعسر، والإيثار والمواساة والتعزية، والتبسُّم في وجوه الناس، وإغاثة الملهوف، وعيادة المريض، ونصرة المظلوم، والتهادي بين الأصحاب، وإكرام الضَّيف.

ويأمر بمعاشرة الزوجة بالمعروف، والإنفاق عليها وعلى الأولاد، وإفشاء التحية وهي السَّلام، والاستئذان قبل الدخول إلى البيوت حتى لا يرى الإنسانُ عوراتِ أصحابِ البيت.

وبالإجمال فكلّ خير نجده في الإسلام.

هذه قصتي يا أحبتي، ولا أدري كيف أصف لكم قدر سعادتي، لقد كنت أمتلئُ فرحًا وسعادة، أني أخدم قومًا مسلمين وأسعى بهم على ظهري إلى الخير وإقامة العدل في الأرض.

(٤) الكعبة قبلتي

أتعرفني؟

هل رأيتني من قبل؟

تذكَّر فإنِّي أظهر لك كثيرًا.

هل تذكرتني؟

نعم، أنا هي، الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين التي يصلُّون إليها في كلِّ مكان، ويحجون إليها كلَّ عام في شهور شوال وذي القعدة وذي الحجة.

هل تعلم كم يكون عمري؟

إنني أعيش منذ سنين طويلة تجاوزت ألوف السنين، منذ خلق الله الأرض، وقد حجَّ إليَّ كلُّ الأنبياء وأتباعهم طاعة لله تعالى وتنفيذًا لأمره.

وقد كانت هذه السنون كلها أوقات سعادة لي، إلا بعض الأحيان التي أصابني فيها الحزن والهمُّ وركبني الغمُّ، وهذا

اليوم الحزين الذي أحدِّثك عنه الآن هو حين من هذه الأحيان:

فلقد وصل إليَّ خبر أقلقني وجعلني في كرب عظيم، يقول الخبر:

إنَّ ملكًا ظالمًا يعيش في أرض الحبشة يقال له (**أبرهة الأشرم**) قد عزم على القدوم إلى بلاد العرب حيث مكة التي أسكنها، وسيقدمُ معه جيشٌ كبير ليهدمني ويقلع أحجاري ويدمِّر أركاني.

وصلني الخبر، فأفزعني بشدَّة فبتُّ أعدُّ الأيام أترقَّب ذلك اليوم خائفةً، حتى جاء ذلك اليوم العصيب الذي وردتني فيه الأنباء بأنَّ ذلك الملكَ الغشومَ وجيشَه الكبير قد وصلوا إلى أطراف مكة، وأوشكوا على دخولها، وبدأت أنظر حولي لأرى ماذا سيفعل الناس معه؟

هل سيواجهونه؟

لكني رأيتهم في رعب وقلق شديدين، كانوا يُهرعون إلى الجبال يحتمون بها ويختبئون فيها، لئلا يصيبهم ذلك الجيش وتطأهم خيوله بحوافرها.

خَلت الطرقُ التي حولي من جميع النَّاس، لم يعد أحدٌ منهم يمرُّ، لا شك أنهم قد اقتربوا أكثر، ولهذا فرَّ الناس من أمامهم.

كان الجيش كبيرًا حقًّا، وكان معهم فيلٌ ضخم يقولون إنهم أتوا به حتى يهدم الكعبة، هكذا يتحدثون عنِّي، ولا يعلمون أنَّ ذلك الفيل الضخم خلقٌ من خلق الله، يسبِّح باسمه، ولا يمكن أن يهدمني لأنِّي أنا أيضًا خلق مُعَظَّمٌ من خلق الله، ولم يأذن الله تعالى له بهدمي.

ولهذا كان أبرهة يأمرهم بتوجيه الفيل إلى ناحيتي ليأتيني فيقلع أحجاري حجرًا حجرًا ويلقيها على الأرض، وتتلاشى ذرَّاتي، ولا يصبح لي وجود بعد ذلك، فما كان الفيل يتحرَّك، أو يسمع كلامهم!

يا الله، ما هذا العجب؟

إنَّ الفيل لا يسمع كلامهم، لا يتوجه ناحيتي، ولا يتحرَّك خطوة واحدة، ولقد ضربوه ليفعل فما أطاع، وكووه بالنار فما استجاب!

ومن العجيب أنهم كانوا حين يوجهونه إلى جهة العودة إلى بلاده أو إلى أي جهةٍ أخرى غير جهتي كان يقوم ويمشي فيها مسرعًا، أما في جهتي وناحيتي فلا، لم يكن يتحرَّك ناحيتي خطوة واحدة!

ظلَّ القوم يرقبون الفيل، ويحارون في تفسير أمره، وقد استنفدوا كلَّ طاقتهم وحيلهم معه فلم تأت بنتيجة، حتى تملَّكهم اليأس منه.

وفي هذا الوقت وكما أراد الله حمايتي من هذا الفيل الضخم، حمى الله مكة كلَّها من هذا الجيش ومن ملكه الظالم الغشوم الذي أراد هدمي، فأرسل عليهم طيورًا كثيرة، طارت فوق رؤوسهم، مع كل واحدٍ منها ثلاث حصوات، فهو يمسك بمنقاره واحدة، وبين رجليه اثنتين، فكان كل طائر يقف فوق فرد من أفراد هذا الجيش ويلقي عليه حصاةً منها فيموت أو يصاب إصابةً بالغة، وهكذا حتى هلك الجيش كله، وهرب الملكُ الظالم عائدًا إلى بلاده مصابًا بإصابات خطيرة، ثم مات

بعد وصوله بوقت يسير.

وهكذا حمى الله كعبته، وأهلك عدوَّه، وكان هذا اليوم يومًا عظيمًا في تاريخي وتاريخ مكة وبلاد العرب، وقد سمَّاه النَّاس باسم ذلك الفيل الأبيِّ، فعُرف بيوم الفيل، وعُرف العام الذي كان فيه بعام الفيل، وقد شاء الله تعالى أن يولد الرسول ﷺ في هذا العام، فعرف الناس له بعد مدة من الزمان قدره، وأيقنوا بأنَّ الله حمى تلك البلاد وفيها الكعبة لأجله.

نعم لقد جاء محمد ﷺ ليعظم من شأني ويُعرِّفَ الناس أنني قبلة الله التي إليها يحج الناس ويتوجهون في كل صلاة، فيجب عليهم تعظيمي وحمايتي من كلِّ من يريد بي سوءًا أو يسعى إليَّ بِشرٍّ، ولا يفرُّوا من وجه الظالمين المعتدين عليَّ كما فرَّ الأعراب قبل ميلاده وبعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في شأن هذه القصَّة سورةً من القرآن الكريم هي سورة الفيل، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ

طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [سورة الفيل]... هذه قصتي يا أبنائي الأعزاء.

(٥) القرآن كتابي

بعث الله أنبياء ورسلًا كثيرين أفضلهم محمد ﷺ، وأنزل كتبًا عديدة، أفضلها القرآن الكريم، فهو يحوز فضل هذين الوجهين جميعًا، فهو خير كتاب أنزله الله على خير رسول من رسل الله.

وسأحكي لكم اليوم المشهد العظيم الذي فيه نزل خير كتاب على خير رسول ﷺ، فافتحوا لي قلوبكم وأعطوني أسماعكم لأروي لكم هذا المشهد كما حدث في تلك الليلة العجيبة:

اسمي غارُ حراء.

لعلَّك سمعت باسمي هذا من قبل.

وسوف تعرفني جيِّدًا حين تنظر في صورتي، سترى مكانًا في قمَّة الجبل، يشبه غرفة صغيرة، أنا موجود في جبل النور، أحد جبال مكة المكرَّمة.

في الزمان البعيد، قبل أن يبعث الله نبينا ﷺ بالإسلام، كان نبينا يأتي إليَّ ويتعبَّد في داخلي، يتفكَّر في السموات والأرض، ويدعو خالقهما سبحانه.

وفي ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، حدث أمر عجيب، لقد كان نبينا محمَّد يصلِّي لله كعادته، يصلِّي لله ويتعبَّد فجاءه ملك عظيم من ملائكة الله، لقد هبط عليه من السماء، كان هذا الملك العظيم هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رئيس الملائكة، وهو أمين الوحي الذي ينزل بأوامر الله تعالى إلى أنبيائه ورسله، وهو الذي نزل بالقرآن على نبينا محمد ﷺ، لقد وقف جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمام نبينا واحتضنه وقال له:

- اقرأ يا محمد!

- فأجابه النبي ﷺ فقال له: «**ما أنا بقارئ**»، وقد كان نبينا ﷺ أمّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يقدِّر الله له تعلُّم القراءة والكتابة حتى تكون معجزتُه هي أن يأتي بكتاب يعجز عن الإتيان بمثله جميع القرَّاء والكتَّاب، فيعلم الناسُ أنَّه نبي من عند الله.

- أكَّد جبريل على النبي الأمر، فقال له: اقرأ يا محمد!
- وأكَّد النبي الجواب: «**ما أنا بقارئ**».
- وعاد جبريل ليقول لنبينا محمد ﷺ: اقرأ!
- والنبيُّ يقول نفس الجواب: «**ما أنا بقارئ**».

وبعد أن أكَّد جبريل على أن النبي لا يستطيع القراءة من عند نفسه أخبره بالقرآن الذي جاءه من عند الله بقوله سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [سورة العلق:١-٥].

قرأ جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هذه الآيات على نبينا ﷺ ثمَّ انصرف، وقد ذهب النبي ﷺ بعدها إلى بيته، وأخبر زوجه السيدة خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، فذهبت معه إلى ابن عمِّها ورقة بن نوفل وكان عالمًا بالكتب السابقة، فأخبره النبيُّ بما رأى وما سمع، وقرأ عليه الآيات التي قرأها عليه جبريل، فابتسم ورقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وطمأن النبي، وأخبره بأن هذا الملك الذي جاءه بالقرآن هو ملك الوحي جبريل، وأنه هو الذي كان ينزل على أنبياء الله

ورسله، ومعنى ذلك أنه نبي هذه الأمة[١].

هكذا يا أعزائي نزل القرآن على نبينا، في ليلة القدر، في شهر مضان، كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

وكما قال لنا سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر].

إنَّ القرآن هدى ورحمة، وخير وبركة، وعزٌّ ورفعة لمن حفظه، وداوم على تلاوته، وقرأه بفهم، وعمل بما فيه من أوامر الله ونواهيه.

هذه قصتي، قصة غار حراء، في جبل النور.

أسعد غار في الدنيا، في أسعد جبل، بأكرم بلد، هي مكة المكرَّمة.

(١) حديث متفق عليه؛ رواه البخاري (٣)، ومسلم (٤٢٢).

(٦) الصحابة قدوتي

طبعًا أنتم تعرفونني!

من منكم لم يرني من قبل؟

كلكم قد رأيتموني بلا شكٍّ!

فبعضكم رآني في الحقل أو في الطريق إليه، وبعضكم رآني في المزرعة، أو حتى رآني في حديقة الحيوان.

ومن لم يرني في هذه الأماكن كلِّها فلا شك أنه رأى صورتي في التِّلفاز أو في مجلَّة أو كتاب، انظروا إلى صورتي فأنا متأكِّدة أنها مألوفة لعيونكم الجميلة!

ومتأكدة كذلك أنكم قد سمعتم اسمي يتردَّد كثيرًا، لقد حملت سورة من سور القرآن الكريم اسمي، وهي السورة الثانية بعد الفاتحة، إنها سورة البقرة، أطول سورة في القرآن الكريم، ولواحدة من أخواتي البقرات قصَّة جميلة في هذه السورة، ستقرؤونها وتستمتعون بقراءتها، أنا أدعوكم إلى قراءتها.

سعيدة أنا بكوني مذكورة في القرآن الكريم، وبأن أطول سورة فيه تحمل اسمي، وسعيدة كذلك بأني مشهورة عندكم وأنكم تعرفونني، أنا سعيدة بهذه المعرفة جدًّا، فمن كان له أصدقاء لطفاء مثلكم فسيكون سعيدًا بلا شك، سأحكي لكم اليوم يا أعزائي، قصَّة جميلة حدثت معي:

خرجت في يوم من الأيام برفقة صاحبي، يسوقني إلى الحقل، لنباشر عملنا المعتاد، لقد كنتُ أقوم بعملي في حراثة الأرض وسقي الزرع بهمة ونشاط، وفي نهاية اليوم أعودُ إلى البيت سعيدة، لأنِّي أنجزت عملي، وأرضيت صاحبي، ولهذا كنت أقبل على طعامي بنفس راضية وآكل بشهيَّة طيِّبة، ولم يكن صاحبي يبخل عليَّ من الطعام بشيء، فكنت آكل، ثم أذهب إلى مستراحي فأنام قريرة العين، حتى إذا كان اليوم الجديد عدت إلى مباشرة العمل، وهكذا في كلِّ يومٍ.

حتى كان ذلك اليوم الذي أحدِّثكم عنه يا رفاقي الكرام، خرجت مع صاحبي إلى الحقل فعملنا حتى أجهدنا العمل، وعدنا متعبين معًا، لقد كانت الأعمال اليوم كثيرة، وقد تعبت

وتعب صاحبي كثيرًا، ولهذا كنَّا نحثُّ الخطى لنعود إلى البيت فنستريح، بدا لنا أن الطريق أطول من كلِّ يوم، بسبب الإعياء الشديد والتعب، وكان صاحبي يسوقني، أمشي أمامه وهو يمشي خلفي، وفجأة أسرع خطاه وأمسك بزمامي يوقفني فوقفت، ثم صعد على صخرة إلى جواري وقفز على ظهري، لقد أراد أن يستريح من عناء الطريق، ويظهر أنه لم يقو على مواصلة السير إلى النهاية، فصعد على ظهري ليركبني بقيَّة الطريق، لقد تألمت لسلوكه ذاك، فأنا متعبة طوال النهار مثله، ولا أقوى على السير، وأتمنى الساعة أن أستريح، فيأتي هو ليركب ظهري، ثم إن عملي هو الحرث والسقي، وقد قمت بهما خير قيام، فما له ينسى أنَّ لي عملًا محدَّدًا فيضيف إليَّ ما ليس من أعمالي، إنَّ في الرِّضا بهذا الأمر لمذلَّة شديدة، هكذا حدثتني نفسي، وبدأتْ التذمُّر وحُقَّ لها ذلك.

أخذت في إظهار اعتراضي وتبرُّمي على الفور، لم أشأ أن أبقى على محادثتي مع نفسي فقط، فما فائدة السخط والغضب، إن بقيا يشتعلان بداخلي، ولم أظهر اعتراضي ليُخففَ حملي،

ويُريحَ ظهري، ويعترفَ لي بحقِّي؟

أدرت رأسي ولويت عنقي، أنظر لصاحبي وهو على ظهري وقلت له: إنَّ البقرة يا سيِّدي لم يخلقها الله للركوب، وإنما خلقها الله لحراثة الأرض، فما بالك تكلِّفني عملي في حراثة الأرض ثم تركب على ظهري؟ إنني لم أقصِّر في عملي البتة، بل أدَّيته على أتمه، ولهذا لا ينبغي لك أن تُحمِّلني عملًا آخر، فيكون ذلك فوق طاقتي، وهذا ظلم، والله لا يرضى الظلم أبدًا، حسنًا فعلت حين أبديت اعتراضي، ولم أسكت عن حقِّي، لقد كنت راضيةً عن نفسي أن قلتُ الحقَّ وتكلمتُ بالعدل.

ولم أكن أدري أن ذلك اليوم وذلك الحدث وتلك الجرأة منِّي على قول الحق بشجاعة سيكون كلُّه موضع تقدير من جميع النَّاس، لقد ظلُّوا يتناقلون خبري، وما عملته، ويثنون على شجاعتي، حتى إنَّ سيد الأولين والآخرين نبيُّنا محمَّد ﷺ قد حدَّث أصحابه الكرام بخبري وقد انفعلوا لهذا الخبر وتعجبوا جدًّا، وقالوا: سبحان الله، بقرة تتكلَّم، فلمَّا رأى نبيُّنا ﷺ تعجبهم أحب أن يطمئنهم إلى أنَّ حديثي هذا حق لا ريب

فيه، وواقع لا خيال، فقال لهم: «**إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر**»[١]، ومن العجيب أنَّ أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يكونا في مجلس النبي ﷺ في هذا الوقت، ولم يسمعا كلامه، لكنَّ النبي ﷺ جزم بأنَّ هؤلاء الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إن سمعوا هذا منه فسوف يصدِّقونه مهما كان عجيبًا وغير مألوف!

وهكذا كان صحابة النبي ﷺ مسارعين إلى الإيمان، يصدِّقون النبي في خبره، ويطيعون أوامره، ويجتنبون نواهيه، وفي مقدِّمة هؤلاء الصحابة الخلفاء الرَّاشدون وهم:

١) أبو بكر الصديّق.

٢) عمر بن الخطاب.

٣) عثمان بن عفَّان.

٤) عليُّ بن أبي طالب.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن صحابة النبي أجمعين، ولهذا كان الصحابة هم قدوة المسلمين في كلِّ زمان ومكان.

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٢٨٤)، ومسلم (٦٣٣٦).

هذه قصَّتي العجيبة يا أحبَّتي، وأتمنَّى أن تكون قد أعجبتكم وأذكِّركم بقصَّة أختي التي جاءت في سورة البقرة، اقرؤوها فسوف تعجبكم هي الأخرى.

(٧) أحبُ ملائكة ربي

لم أنم تلك الليلة، لقد كانت ليلة سعيدة جدًّا حتى إنَّ عيني لم تسلماني إلى النوم، وظللت طَوالها ساهرًا.

وكيف أنام؟

لقد كنت أدور برأسي ذات اليمين وذات الشمال وأهزُّ ذيلي بقوة حتى أنتبه ولا يأخذني النوم!

لقد اختار صاحبي (أسيد بن حضير) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يجلس هذه الليلة قريبًا من مربطي ويقرأ القرآن فكنت أنصت لقراءته وأستمع، لم نكن وحدنا، بل كان معه ابنه يحيى، لكن سرعان ما أخذت يحيى سنة من النوم فنام، وبقيت أنا وأسيد ابن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو يقرأ في كتاب الله وأنا أسمعه، قرأ مرة من سورة البقرة، ومرة من سورة الكهف، ومن سور غيرهما.

وفي أثناء قراءته يا أصدقائي حدث شيء عجيب، فقد لمحت ببصري سحابة أتت فوق رؤوسنا وكانت تقترب منَّا،

والحق أقول لكم لقد خفت منها، فلم أكن أعلم ما هي، خشيت على نفسي وقلقت أن يكون مكروهًا يصيبني، ولأجل هذا أخذت أشدُّ الحبل الذي ربطني به صاحبي أسيد، ولما لم أستطع أخذت أتحرَّك حركةً شديدة من جهة إلى أخرى، وأنا خائفة!

كانت حركتي تجذب نظر صاحبي فيتوقف عن القراءة، وكنت ساعتها ألمح هذه السحابة تبتعد، فكنت أهدأ وأسكن في مكاني ولا أتحرَّك، فيعود أسيد إلى القراءة مرة ثانية، فتقترب السحابة!

وتكرَّر هذا الأمر مرَّات عديدة، وكنت في كلِّ مرة أتحرَّك حركة أشدَّ لأنَّ السحابة كانت تقترب منِّي أكثر فأكثر.

وهنا انتبه أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنَّ يحيى إلى جوارنا وأنه ليس بعيدًا عنِّي بمسافة كبيرة، فخشي عليه من حركتي، فربما أثناء اضطرابي وفزعي أقع عليه أو أضربه برجلي، فيحدث له مكروه.

ولهذا قام أسيد مسرعًا إلى يحيى فحمله وذهب ليضعه في فراشه في المنزل.

ذهب أسيد إلى المنزل ووضع ابنه الرضيع يحيى في فراشه لينام، وفي خروجه من المنزل وعودته إلى مكانه رأى تلك السحابة، لقد كانت ما تزال قريبة، وكانت تبتعد شيئًا فشيئًا.

ما شاء الله، يا لجمالها، لقد كانت بيضاء تشع نورًا، منظرها جميل، يدخل السرور على النفس ويشرح الصدر، وكانت بها مصابيح مثل النجوم تضيء من حولها، كيف لم أنتبه لهذا كلِّه وقتما رأيتها في المرَّات السابقة؟ لقد تملَّكني الخوف والفزع، حتى إنِّي لم أبصر ذلك كلَّه!

بعد قليل من الوقت سمعنا صوت المؤذن لصلاة الفجر:

الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمدًا رسول الله

أشهد أن محمدًا رسول الله

حي على الصلاة

حي على الصلاة

حي على الفلاح

حي على الفلاح

الصلاة خير من النوم

الصلاة خير من النوم

الله أكبر أالله اكبر

لا إله إلا الله.

توضأ سيدي أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخرج إلى المسجد للصلاة مع نبينا ﷺ، وبعد الصلاة جاء فرحًا مسرورًا بادية عليه السعادة، لقد جمع أهله وأخذ يحدِّثهم بما جرى في تلك الليلة، وقال لهم بأنَّه أخبر رسول الله ﷺ بذلك، ففرح الرسول واستبشر وأخبره بأنَّ هذه السحابة كانت تحمل مجموعة كريمة من الملائكة وأنهم كانوا يستمعون القرآن حين كان يقرؤه، فلما انتهى من القراءة انصرفوا، ولو أنَّه بقي يقرأ القرآن حتى الصباح

لظلوا موجودين ولم ينصرفوا[١].

لقد كانت فرحة أهل البيت كلِّهم عظيمة، بهذا الخبر الجميل.

وأما أنا فقد كنت أعظمهم فرحًا، فقد شاء الله تعالى أن أحضر هذا الحدث الجليل، وأن أستمع لتلاوة القرآن تلك الليلة، وأرى هذه السحابة والمصابيح التي كانت تحوطه بالنور والضياء، لأنها تحمل ملائكة الرحمن عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

إنَّ الملائكة يا أصدقائي يسكنون في السماء، ويكلِّفهم الله تعالى بمهام يؤدونها وهم يطيعون الله وينفذون أوامره ولا يعصونه أبدًا، وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون، هكذا خلقهم الله تعالى، ومن هؤلاء الملائكة: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي نزل بالقرآن على نبينا ﷺ ومنهم ميكائيل وإسرافيل ومنهم الملائكة الذين يسجلون على العبد أعماله، وغيرهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥).

(٨) أنا أؤمن بجميع رسل الله

أنا عنقود عنب

حباتي جميلة كاللؤلؤ

حلوة كالسكَّر

مرصوصة كالعِقد

ليست هذه هي محاسني فقط.

فلقد كان من مقادير الله الجميلة بالنسبة لي أن أمسكني بيده وأكل بعض حباتي بفمه رسول الله ﷺ، ففي بداية الدعوة إلى الإسلام اشتدَّ أذى المشركين من أهل مكة لرسول الله ﷺ، فخرج الرسول ليلتمس بلدًا غير مكة يدعو فيها إلى الإسلام إلى أن يأذن الله لأهل مكة فتلين قلوبهم، وقد اختار النبي الطائف وهي بلدة قريبة من مكة، وهي كذلك قرية عظيمة مثل مكة، وخرج النبي إليها، يدعو أهلها إلى الإسلام، لكنهم رفضوا، ولم يكتفوا بذلك بل آذوا رسول الله أذًى شديدًا.

وفي الطريق وجد الرسول بستان عنب، فجلس يستريح في ظلِّه من التعب، فلما رأى صاحب البستان رسول الله ﷺ، دعا غلامًا له اسمه عدَّاس، فقال له: خُذْ قطفًا من هذا العنب، فضَعْه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقُلْ له يأكل منه.

ففعل عداس، فقطفني من فوق الشجرة، ثم أقبَلَ بي حتى وضعني بين يدَي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: «**بسم الله**»، ثم أكل.

هذه هي اللحظة التي لم تسعني الدنيا كلها من الفرحة والسعادة، فلقد استقرَّت حباتي بين يدي رسول الله ﷺ، وامتدت يده الشريفة تقطف بعض حباتي لتضعها في فمه الشريف.

وما أجمل ما سمعت حين قطف أول حبة وقبل أن يضعها في فمه قال: «**بسم الله**» حتى إن الغلام (عداس) حين سمع كلمة «بسم الله» تعجب وقال: «والله، إن هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلاد!».

فقال له رسول الله ﷺ: «**ومِن أهل أيِّ البلاد أنت يا عداس؟**»، قال: أنا رجل من أهل نِينَوَى؛ فقال رسول الله ﷺ: «**مِن قرية الرجل الصالح يُونُس بن متَّى؟**»، فقال له عداس: وما يُدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبيٌّ**»، فأكَبَّ عدَّاس على رسول الله ﷺ يُقبِّل رأسه ويدَيْه وقدمَيْه، وقال للنبي ﷺ: أشهدُ أنك عبد الله ورسوله[1].

وأسلم عدَّاس وشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ.

ويونس بن متى نبي من أنبياء الله، وهو الذي ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة باسمه في القرآن، وذكره في مواضع كثيرة من القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة القلم:٤٨-٥٠].

ومثل يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنبياء كثيرون ذكرهم الله تعالى في

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٦٦)، والسيرة النبوية الصحيحة (١/ ١٨٥)؛ للدكتور أكرم ضياء العمري.

القرآن، كيوسف وموسى وعيسى وإبراهيم ونوح وآدم، عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

وهكذا فإن المسلم يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، بل الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، ومحبتهم واجبة، كمحبة نبينا ﷺ، والدفاع عنهم واجب، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

(٩) أنا أؤمن باليوم الآخر

هذه أنا

كما ترونني في الصورة

وكما تعرفونني جيدًا

في كل طعام تجدونني أمامكم، قدر، توضع فيها الطعام، في الإفطار، وفي الغداء، وأيضًا في العشاء تجدونني، ولي بذلك إلف بكم واجتماع معكم، يشرفني كثيرًا أنني معروفة لكم.

وبهذه المناسبة سوف أهديكم هديَّة جميلة، حكاية عجيبة حدثت معي، وكان لي فيها فوائد ودروس عظيمة، أحبُّ أن أتذكرها وأن أعرِّفكم بها أيضًا.

ذات يوم من الأيام، وفي بلد من بلاد الله الواسعة اسمها الحبشة، وقعت هذه القصة، وكنت شاهدًا عليها، بل كنت أحد أبطالها.

أسمع بعضكم الآن يهمهم قائلًا: الحبشة؟

نعم، الحبشة، وهي البلاد التي هاجر إليها أصحاب نبينا ﷺ لما اشتد عليه أذى المشركين في بداية الإسلام بمكة.

وكان الصحابة هناك أيضًا في هذا اليوم، وهم الذين نقلوا خبري وخبر القصة كلها للنبي ﷺ، حكاها له جعفر بن أبي طالب.

وأنا أقص عليكم ما كان في هذا اليوم العجيب.

كنت في البيت بين إخوتي وأحبابي، وككل يوم جاءت سيِّدة الدار وكانت عجوزًا مسنَّة، فأخذتني، ووضعت الطعام بداخلي، وخرجت إلى الطريق، لعلها ستذهب إلى زوجها في الحقل، أو إلى السوق تبيع الطعام، أو تنوي أن تتصدق به، لم أدر شيئًا من ذلك، لكنها كانت تسعى سعيًا خفيفًا، تكاد لعجزها وكبرها تعد خطواتها فقد كانت تمشي ببطء شديد.

وفي أثناء الطريق وقعت أحداث القصة المثيرة، فقد كان هناك مجموعة من الشباب يجلسون على أحد جانبي الطريق، يمزحون ويتضاحكون، وكانوا يؤذون المارة ليتندروا عليهم ويضحكوا منهم، وقد رأى شابٌّ منهم العجوز مقبلة تحملني وتحمل قلة ماء أيضًا فهمس لأصحابه بشيء، ثم قام ينتظرها

في عرض الطريق، كأنَّه قال لهم إنه سيضحكهم على هذه المرأة، فانتظرها حتى مرَّت، ثم وضع إحدى يديه بين كتفيها، ودفعها فوقعت، ووقع الطعام الذي معها على الأرض، وقلة الماء كذلك انكسرت وسال ماؤها، لقد ضاع الطعام والشراب الذي تعبت في إعداده وحمله، من قبل شاب مستهتر مستهزئ لا يبالي بما فعل من جريمة ولا يَعدُّها شيئًا يُعتذر منه.

وقعت المرأة العجوز على الأرض، ووقعت قدرها وقلتها، فتفرَّق طعامها وسال ماؤها، وهي لا تملك القوة لدفع الأذى عن نفسها، فماذا عملت؟

لقد رفعت رأسها تنظر إلى هذا الشابِّ الذي ظلمها وقالت: يا غادر، ويلٌ لك من يوم يضع الملك سبحانه كرسيَّه، فيأخذ للمظلوم من الظالم[1].

لقد استعانت عليه بالقوي الذي لا يُهزم والغالب الذي لا يُغلب وهو على كلِّ شيء قدير، فهي على ثقةٍ بأن الله سيردُّ إليها حقَّها، إن لم يكن ذلك في الحياة الدنيا ففي يوم القيامة

(١) حديث حسن؛ رواه ابن ماجه في سننه (٤٠١٠)، وحسنه الألباني.

اليوم الآخر بعد فناء الدنيا وذهابها، يُحيي الله جميعَ الخلق، ويحاسبُ كلَّ إنسان على ما فعله، فمن أحسن؛ أحسن الله إليه وأدخله الجنة يتنعم فيها بكلِّ أنواع النعيم ويفرح فيها ويمرح.

ومن أساء؛ عاقبه الله بعذاب أليم وأدخله النار، يشقى فيها ويتحسَّر.

يومها سيفرح المظلوم فرحًا شديدًا، وسيندم الظالم ويبكي بكاء شديدًا.

ولهذا قالت العجوز لهذا الشاب الذي لا تستطيع له دفعًا ولا لأذاه رفعًا: ويلٌ لك من يوم يضع الملك سبحانه كُرسيَّه، فيأخذ للمظلوم من الظالم.

فهي تؤمن بأن هناك يومًا آخِر سيحاسب الله فيه الناس على أعمالهم كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة].

وقد أيَّد النبي ﷺ كلام العجوز حين حكى له جعفر ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصَّتها، وقال ﷺ: «**كيف يقدس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفها من شديدها حقه؟**»[1].

فلتحذروا الظلم يا أحبابي، وجميع أنواع المعاصي، فإن الله سيسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا، وذلك في اليوم الآخر يوم القيامة.

(١) حديث حسن؛ رواه ابن ماجه في سننه (٤٠١٠)، وحسنه الألباني.

(١٠) صلاتي هي حياتي

أهلا بك يا حبيبي

أسعدني جدًّا أن أتحدَّث إليك وأن أسمع منك.

أنا اسمي (**عمرو**)

وعمري في مثل عمرك تقريبًا.

وإن كان الزمان بيننا بعيدًا بعض الشي لكن أخوَّة الإسلام تجمعنا ورابطة الإيمان تؤلِّف بين قلبينا.

فأنا قد عشت في الزمن الجميل، في صدر الإسلام، مع النبي ﷺ وصحابته، أعرف أنَّ شوقك إلى حديثنا كبير، وكذلك أنا، ولهذا سأحكي لك قصتي العجيبة الجميلة، أمتعك بتفاصيلها، وأسعدك بفوائدها.

كنت مثلك ألعب مع أصدقائي، نشغل أوقاتنا بالفرح والمرح، وكانت تأتينا أخبار طيِّبة عن رسول الله ﷺ يتحدث بها قوم راجعين من عند رسول الله ﷺ، فأستمع إليهم وهم يتحدَّثون

بها، وكان من هذه الأخبار آيات القرآن التي أنزلت على نبينا ﷺ، فكنت أسمعها وأحفظها، فقد رزقني الله حافظة قويَّة متينة، حتى اجتمع لديَّ سور وآيات كثيرة من القرآن الكريم.

وفي يوم من الأيام كان أبي وآخرون عند النبي ﷺ، ولما عادوا جمعوا أهلنا جميعًا وحدَّثوهم عن أوامر النبي ﷺ لهم بإقامة الصلاة، وقد علمهم النبي الأذان، ومواقيت الصلاة، وكيفيَّتها، حتى أتقنوا ذلك.

وكان فيما أمرهم النبي ﷺ أنه قال لهم: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدُكم وليؤمُّكم أكثركم قرآنًا**»(١).

فرح النَّاس بهذه الأخبار السعيدة، وهيأوا مكانًا جميلًا اتخذناه مسجدًا نصلِّي فيه، ثم تشاوروا فيمن يصلِّي بهم، يريدون أن يعرفوا من يحفظ أكثر من سور وآيات القرآن، فأخبرتهم بما أحفظ وأخبرهم غيري كذلك، وكم كانت سعادة عظيمة حين عرفت أنِّي أكثر من يحفظ من القرآن وسط أطفال الحي الذي أسكن فيه.

---

(١) حديث صحيح؛ رواه البخاري (٤٣٠٢).

حين وقع اختيارهم عليَّ، علموني الصلاة، علموني القيام والركوع والاعتدال والسجود، وقالوا لي: ستصلي بنا كلَّ صلاة، لقد ازدادت فرحتي وسعادتي بهذا الخبر، وسعد أبي وسعدت أمي، وفرحا بذلك كثيرًا.

وما زلت أذكر أوَّل صلاة صليتها بهم في هذا اليوم، فقد وقفت أصلي بهم وأنا أكاد أطير من الفرح، سعيدًا بالصلاة وسعيدًا بالقرآن، وسعيدًا بالإمامة.

لم تَضِعْ تلك الأيام والليالي التي كنت أقف فيها أستمع إلى أخبار النبي ﷺ وأحفظ الآيات والسور التي يتلونها، وأردِّدها وأكرِّرها على نفسي كثيرًا حتى لا أنساها أو تتفلَّت منّي، حقًّا إنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

اصطفَّ الناس للصلاة، ودخلت لأصلِّي بهم وكان عليَّ عباءة قصيرة فكنت إذا سجدت تقلَّصت عني وقصرت جدًّا فيظهر فخذي، وبعدها اشتروا لي عباءة أخرى طويلة، فما فرحت بشيء بعد الإسلام فرحي بهذه العباءة الجديدة.

تعرف يا صديقي، لقد أحببت الصلاة حبًّا جمًّا، كانت تريح فؤادي وتسكِّن خاطري، وتساعدني على الاستمتاع بوقتي، حتى إنِّي كنت أنتظر من الصلاة إلى الصلاة، وأفرح جدًّا بالذهاب إلى المسجد، لقد كنت أحبُّ أن أتوضَّأ قبل دخول الوقت، وأرتدي ملابسي الجميلة، وحين أسمع الأذان أذهب في طريقي إلى المسجد بهدوء وأقول مثل ما يقول المؤذِّن، وأحافظ على ذلك في كلِّ صلاة، إنَّ الصلاة هي الحياة فكيف لا نحافظ على الصلاة؟

هذه قصتي يا أحبتي، وتدركون الآن أهميَّة حفظ كتاب الله، والحفاظ على الصلاة، والاهتمام بتحصيل العلم، وغيرها من الفوائد، أدعوكم للعلم بها والعمل بها، وفقكم الله لما يحبُّ ويرضاه.

(١١) من أركان الإسلام

حجُ البيت الحرام

أنا الكعبة ها قد عدت ثانية إلى لقائك!

أهلا بك ومرحبًا

سعيدة أن نتصافح ثانية وأن نتجاذب الحديث.

قد أخبرتك أن قصصي كثيرة ومتنوِّعة.

وسأذكر لك هذه المرة قصةً منها ممتعةً شيِّقةً.

إنها قصة أسرة تتكون من ثلاثة أفراد رجل وامرأة وطفلهما الصغير.

أما الرجل فهو نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو جد نبيِّنا ﷺ.

وأمَّا المرأة فهي أمُّنا هاجر وأصلها من مصر وتزوَّجت بنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأقامت معه في العراق، وقد رزقهما الله طفلًا جميلًا سمَّوه إسماعيل.

وفي يوم من الأيَّام أمر الله نبيَّه إبراهيم أن يأخذ ولده إسماعيل وأمَّه هاجر وأن يذهب بهما إلى بلاد الحجاز حيث مكة المكرَّمة، وبالفعل أخذهما إبراهيم وسافر إلى ذلك المكان، وهناك تركهما وعاد كما أمره الله تعالى.

والعجيب أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رأى المكان خاليًا، فلا زرع فيه، ولا شجر، ولا ماء، ولا شيء، حتى إنَّه لم يكن فيه دور ولا سكن، ولا بشر!

ومع هذا لم يتردد إبراهيم في تنفيذ أمر الله تعالى له.

وكانت زوجته بارك الله لها هي الأخرى راضية شاكرة مطيعة، فعندما تركهما وذهب قالت له:

يا إبراهيم!

إلى من تتركنا في هذا المكان؟ هل الله تعالى أمرك بهذا؟ فأجابها إبراهيم: نعم.

فقالت هاجر: مادام الله هو الذي أمرك بهذا فهو لن يضيعنا.

ذهب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبقيت هاجر مع ولدها الرضيع في

هذا المكان، ولما نفد الماء الذي كان معهما أخذت هاجر تبحث عن مكان تأتي منه بالماء، بحثت كثيرًا، ولكنها لم تجد، وكان هناك جبلان كبيران، أحدهما يسمَّى جبل الصفا والثاني جبل المروة، فكانت هاجر تصعد عليهما بحثًا عن الماء، تنظر لعلها ترى أحدًا يقدم عليها من الناس، أو ترى الطيور تنزل في مكان من الصحراء فيكون به ماء، لكنها لم تجد، كانت هاجر تدعو الله تعالى أن لا يضيعها هي وابنها، وبعدما أصابها التعب والإعياء قعدت على الجبل تنظر إلى ابنها الطفل الرضيع وكان يبكي فحدث شيء عجيب، لقد تفجَّرت عين ماء من تحت قدم إسماعيل، نزلت هاجر تجري إلى جهة ابنها وهي لا تصدق نفسها، واستبشرت بعين الماء تلك، وأخذت تحمد ربها وهي تحوط الماء حتى يجتمع في مكانها ولا يسيح في الأرض، وكانت على ثقة من أنَّ الله جاعلٌ لها مخرجًا ومستجيبٌ لدعائها، سبحانه.

وحين جاء الماء هبطت الطيور على المكان لتشرب ولمح الناسُ الطيورَ من بعيد فقصدوا المكان فوجدوا الماء كما

ظنوا، واستأذنوا هاجر في أن يكونوا معها، ويعيشوا في هذا المكان، وسبحان الله الذي رزقهم الأنس بعد الوحشة، والماء بعد العطش، والزرع بعد الجدب[١].

وبعد مدة عاد إليهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكانت معه مفاجأة جميلة، لقد أمره الله أن يكشف في هذا المكان عن قواعد البيت الحرام وأن يرفعها لتكون علامة للناس على بيت الله ويأتي إليها الناس من كلِّ بقاع الأرض.

أخذ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إسماعيل وقاموا بجمع الحجارة وتسويتها وبناء جدران الكعبة كما علمهما الله، ولما فرغا من عملهما ودعوا الله بالقبول، أمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، فصعد على الجبل وأخذ يقول: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا.

ومن يومها والناس لا ينقطعون عن الحج إلى بيته الحرام والطواف به والسعي بين الصفا والمروة كما فعلت هاجر وهي تبحث عن الماء.

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (٢٣٧١).

وكذلك صار الحج ركنًا من أركان الإسلام كما قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»(١).

وهكذا يا أحبتي صرت علمًا يعرفني جميع الناس ويقصدون إليَّ ويطوفون بي ويسعون بين الصفا والمروة إلى جواري ويقفون بعرفة، وكلُّ الناس تشتاق الحج وتحبُّه وتتمنَّاه.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٨)، ومسلم ١٦).

(١٢) قرة عيني أمي وأبي

يا الله!

ما أجمل القصص التي حملها لنا التاريخ عن أصحاب نبينا ﷺ!

وسأحكي لكم اليوم يا أعزائي قصتي مع أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ، ذلك الصحابي البطل، الذي اشتهر بين الناس ببرِّه الشديد بأُمِّه، ورحمته ورأفته بها، لكن هل تعلمون لماذا سُمي **أبو هريرة** بهذا الاسم؟ إن اسمه الحقيقي عبد الرحمن، لكن رسول الله ﷺ هو الذي سمَّاه (**أبا هريرة**)، فقد كان عبد الرحمن يمشي يومًا في شارع من شوارع المدينة النبوية فرآني أمامه؛ قطةً صغيرةً جائعةً، ليست لأحد، ولا تعرف لها طريقًا، فأخذته الشفقة عليَّ، وخاف أن أموت من الجوع، فحملني في يده حتى يذهب بي إلى بيته فيطعمني ويسقيني ويدفئني ويحميني، وفي الطريق -يا أحباب- قابله نبينا ﷺ، ورآني معه فأعجب النبي بعمله، ومن يومها سمَّاه رسول الله

ﷺ بهذا الاسم أبو هريرة -والهرَّة اسم من أسمائي فأنا أسمى قطة وأُسمَّى هرة كذلك- وقد عُرف أبو هريرة بهذا الاسم بين الناس يومها وفي كل زمان ومكان!

وفي بيت **أبي هريرة** يا أحبابي شاهدت كيف كان يعتني بأمه ويحترمها وينفِّذ أوامرها، لقد رأيته يبرُّ أمه برًّا عظيمًا، فهو يتحدَّث إليها بصوت منخفض، ويناديها بأحبِّ الكلام وأجمله، ويُطيِّب خاطرها دائمًا، وكان يدعو لها في صلاته كثيرًا، كان **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا أصدقائي الصغار كلما أراد أن يخرج من بيته وقف على باب غرفة أُمِّه فقال: السلام عليك يا أُمَّتاه ورحمة الله وبركاته.

فتقول له أمّه: وعليك السلام يا بُنَيَّ ورحمة الله وبركاته.

فيقول **أبو هريرة**: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا.

فتجيبه قائلة: رحمك الله كما بررتني كبيرًا.

وأيضًا كان إذا أراد أن يدخل صنع مثل ذلك.

لقد كان **أبو هريرة** عظيم الحبِّ لوالديه، لكنَّ والده تُوفِّيَ

قبل أن يراه ويعيش معه، فكان يجتهد في خدمة أُمِّه وطاعتِها وبرِّها ولو كان أبوه حيًّا لفعل مثل ذلك معه.

وكان **أبو هريرة** يا أحبابي يسمع حديث رسول الله ﷺ ويعتني به ويحفظه، وكان كثيرًا ما يطلب من النبيِّ ﷺ أن يدعو لأمه، لأن النبي ﷺ دعوته مستجابة، فيدعو النبي ﷺ لأبي هريرة ولأمه معًا، وهو يحدِّثنا عن هذا فيقول: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبِّب عُبيدَك هذا وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّب إليهم المؤمنين**»(١).

ولهذا كان من كمال إيمان المؤمن أن يحبَّ أبا هريرة وأمَّه وأن يحبَّ جميع أصحاب رسول الله ﷺ والمؤمنين به.

لقد كنت سعيدة في بيت (**أبي هريرة**)، ذلك البيت العامر بالود والبرِّ والرحمة، بين الابن وأمِّه، وكذلك كلُّ بيت يعمل أبناؤه ببرِّ آبائهم وأمهاتهم يكون البيت سعيدًا ويعيش أهله في

(١) حديث صحيح؛ رواه مسلم (٢٤٩١).

فرح وسرور، فلا تنس يا صديقي؛ أطع أباك وأمَّك ولا تعصهما، وارحمهما ولا تعاملهما بقسوة ليرضى الله عنك، فتنجح في دراستك وجميع أعمالك في الدنيا وتدخل الجنَّة في الآخرة.

(١٣) أذكاري

لو كان لبقعة أن تفتخر على بقاع الأرض جميعها بجوارها لرسول الله ﷺ حيًّا ومَيّتًا كنت أنا.

فقد جاورت النبي ﷺ في حياته أحد عشر سنة، يصلِّي ويحدِّث أصحابه بالقرآن والسنَّة في داخلي، بل قبل ذلك فإنَّه ﷺ شارك في بنائي بنفسه حيث ساعد الصحابة في حمل الأحجار ورفع التراب ووضع اللبنات، وقد شجَّع موقفه هذا كلَّ الصحابة على العمل وأخذوا ينشدون:

لئن قعدنا والنـبي يعمـلُ لذاك منَّا العمل المضـلَّلُ

وبعدها سعدت بالنبي ﷺ جارًا، فقد بنى نبينا بيته بجواري، فكنت أراه كلَّ يوم أكثر مما يراه جميع المسلمين!

ثمَّ توفِّي النبي ﷺ، فدفن في بيته بجواري أيضًا، فنعمت بجوار النبي ﷺ حيًّا وميتًا.

يا للسعادة والهناء، بهذا النصيب الذي قسمه الله لي من نبيي ﷺ!

وفي هذا العمر الطويل رأيت قصصًا وحكايات عجيبة، هل تشتاقون أن أسمعكم شيئًا منها فأحكي لكم بعضها؟

نعم، على الرحب والسعة.

سأحكي لكم عن ليلة كان يبيت فيها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في داخلي، كان رسول الله ﷺ هو الذي أمره بذلك، فقد جمع النبي الزكاة من الأغنياء ووضعها عندي، وأمر أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحرسها إلى الصباح حتى لا يأخذ أحدٌ منها شيئًا، لأن النبي يريد أن يعطيها للفقراء والمساكين مساعدة لهم، وهكذا ينبغي أن يساعد الغني الفقير، وأن لا يبيت شبعانًا وفقراء المسلمين جوعى.

وبالفعل -يا أحبابي- بات أبو هريرة تلك الليلة إلى جوار الزكاة، وفي أثناء الليل أحس بحركة غريبة، فقام لينظر، فوجد رجلا لا يعرفه يأخذ من طعام الزكاة، فأمسك به أبو هريرة وقال له: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، ولكن هذا الرجل الغريب قال لأبي هريرة: إني محتاج وعليَّ عيالٌ ولي حاجةٌ شديدة! وأخذ يعتذر لأبي هريرة حتى رقَّ له أبو هريرة وخلَّى عنه.

وفي صلاة الفجر، جاء النبي والصحابة فصلوا، وبعد الصلاة قال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**».

الله!

لقد علم النبي ﷺ بما حدث، من أخبره؟ إن أبا هريرة لم يبرح المكان، ولم يكن معه أحد آخر، فكيف عرف رسول الله ﷺ يا أحبابي؟

لقد أوحى الله إليه بما حدث، أخبره ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ أليس هو رسول الله ﷺ؟ فلذلك يخبره ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يشاء وبما يريد.

ولما سأل نبينا أبا هريرة، أجابه فقال: يا رسول الله! شكا حاجةً شديدة وعيالًا فرحمته فخليتُ سبيله، فما كان من النبي ﷺ إلا أن قال شيئًا عجيبا، لقد قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، قال أبو هريرة: فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيالٌ ولن أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي

رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرُك؟**» قلتُ: يا رسول الله! شكا حاجةً شديدةً وعيالًا فرحمته فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فهذه ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود، قال: دعني وسوف أعلمك كلماتٍ ينفعك الله بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فإنك إن قرأتها لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطانٌ حتى تصبح؛ فلما سمع أبو هريرة ذلك منه خلَّى سبيله، فقد كان أبو هريرة شديد الحرص على الخير وكذلك كان صحابة النبي ﷺ جميعًا رضوان الله عليهم، فلما دلَّه على هذه المسألة من الخير تركه يذهب.

كان هذا ما دار بين أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين هذا الرجل

الغريب في الليالي الثلاث، فلما أصبح أبو هريرة، ولقي رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلماتٍ ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «وما هي؟» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختمها، وقال لي: «لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح».

وماذا قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة عن ذلك؟ لقد قال له: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب**»، يعني هذا الرجل صدق في هذه المرَّة رغم أن طبيعته الكذب، ثم قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أتعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟**».

فقال أبو هريرة: لا.

فأخبره النبي ﷺ بمفاجأة كبيرة، قال له: «**ذاك الشيطان**».

يعني هذا الرجل الغريب الذي كان يسرق من مال وطعام الزكاة كان شيطانًا وكان يأتي في صورة رجل[1].

---

(١) حديث صحيح؛ رواه البخاري (٢١٨٧).

فالأذكار تحفظنا من كلِّ الشرور، وقد وصانا رسول الله ﷺ بقراءة الأذكار في الصباح والمساء وعند النوم وعند دخول الحمام والخروج منه، وفي جميع الأوقات والأحوال... وهكذا تملأ الأذكار حياتنا فتحفظنا وتحمينا بإذن الله، ويبارك الله لنا بسبب المحافظة عليها.

كما قال ذلك الشيطان الذي جاء في صورة رجل لأبي هريرة: «لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح». وأخبرنا النبي ﷺ أن كلامه هذا صحيح رغم أن خلقه الكذب دائما.

وكانت هذه قصَّة عجيبة حدثت مع أبي هريرة وشاهدتها أنا أيضًا، وكم هي كثيرة تلك القصص العجيبة التي رأيتها وسمعتها، في هذه الأيام الجميلة.

(١٤) من أخلاقي

خُلُق الصِّدق

قصتنا اليوم يا أعزَّائي قصة عجيبة

وهي ذات فوائد عظيمة

تدور أحداث هذه القصة حول ثلاثة رجال، من بني إسرائيل قوم نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان الأول منهم أبرص تغير لون جلده، والثاني أقرع ليس في رأسه شعر، والثالث أعمى لا يرى بعينيه.

حالهم حال عجيبة، سبحان الله!

أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يختبر إيمان هؤلاء الثلاثة، فبعث إليهم ملكًا في صورة رجل، ونعرف أنَّ الملائكة أعطاهم الله هذه الميزة، فيتشكَّلون في أشكال حسنة جميلة، جاء الملك أول مرَّة إلى الأبرص فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: أحب شيء إليَّ هو لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني

البرص، فمسح الملك على جلده فبرأ بفضل الله، وأُعطيَ لونًا حسنًا، ثم قال له الملك: فأيُّ المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فأعطاه الملَك ناقة عشراء، ثم قال له: بارك الله لك فيها.

وتركه وذهب إلى الأقرع، فقال: أَيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الصلع، فمسح الملك على رأسه فذهب عنه الصلع، وأُعطيَ شعرًا حسنًا، ثم قال له الملك: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأُعطي بقرة حاملًا، وقال: بارك الله لك فيها. ثم تركه وذهب إلى الأعمى فقال له: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يرد الله إليَّ بصري فأبصر الناس، فمسح الملك عينه فرد الله إليه بصره، ثم قال له الملك: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا.

وقد استجاب الله تعالى دعوة الملك فبارك لهم في أنعامهم فولدت كثرة، وبعد فترة أصبح للأبرص عدد كبير من الإبل، وللأقرع عدد كبير من البقر، وللأعمى عدد كبير من الغنم.

ثم جاء الملك مرَّة ثانية وطاف عليهم يختبرهم، فأتى الرجل الذي كان أبرص وعافاه الله في صورة رجل أبرص،

وقال له: أنا رجل مسكين قد انقطعت بي الأسباب في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسالك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أن تعطيني جملًا أركبه في سفري، فقال الرجل الذي كان أبرص وعافاه الله: الحقوق كثيرة، ولم يعطه، فقال له الملك: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله؟ وهنا كذب الأبرص وقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر ورثه جدي لأبي، وورثته عن أبي، فلما سمعه الملك يكذب قال له: إن كنت كاذبًا فصَّيرك الله إلى ما كنت، أبرص، فقيرًا.

وذهب عنه فأتى الأقرع في صورته وهيئته التي كان عليها الأقرع قبل الشفاء والغنى، فقال له مثل ما قال للأبرص، فرد عليه بمثل ما رد الأبرص، لقد كذب هو الآخر!

فقال له الملك: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت عليه.

ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال له: أنا رجل مسكين انقطعت بي السبل في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم

بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك أن تعطيني شاة، أتبلغ بها في سفري، فقال الرجل: قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أشق عليك برد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي لله عَزَّوَجَلَّ، فلما رأى الملك أنه صدق في حديثه، وأنه مستعد للعطاء في سبيل الله، قال له: احتفظ بمالك، فإنما ابتلاكم الله تعالى أنت وصاحبيك الأبرص والأقرع، فأما أنت فقد رضي الله عنك بصدقك وكرمك وبَذْلِكَ للمسكين، وأما صاحباك فسخط الله عليهما للكذب والبخل ومنع حق المسكين[1].

وهكذا يا أحبابي الكرام تعلمنا من هذه القصة العظيمة أننا يجب أن نراقب الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسنا، وما أعطانا وأولانا من العافية، وأن لا نجحد شيئًا من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ علينا.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (٢٩٦٤).

(١٥) من أخلاقي

خُلُق الأمانة

هل تعرفونني؟

أنا جَرَّة.

إناء من خَزَف لي بَطْن كبير ولي عُرْوتان يحملني الناس منهما، وصورتي أمامكم توضِّح لكم اسمي.

كان الناس يستعملونني كثيرًا في حفظ الحبوب كالقمح والأرز والذرة، وربما في حفظ الأشياء الثمينة، كالذهب والفضة، وكثيرًا ما كان الناس يستعملونني في نقل المياه والاحتفاظ بها في البيوت.

ومنهم من يستعملني إلى اليوم في حفظ الجُبن الجميل اللذيذ.

وقد حدثت معي نوادر وعجائب، سأحكي لكم يا أحبابي قصة منها، وهي قصة رائعة جدًّا، أنا على يقين من أنها ستعجبكم.

كان هناك رجل طيِّب يبحث عن أرض ليشتريها، ظلَّ يسأل ويسأل حتى دلَّه النَّاس على أرض عند رجل وصفوه بالصدق والأمانة والكرم، فذهب إليه صاحبنا، وكلمه في ذلك، وكان صاحب الأرض لديه النيَّة فعلًا لبيع أرضه.

فرح صاحبنا لأنه وجد بغيته عنده، وذهب معه لرؤية الأرض، وبعد أن اطمأنَّ إلى أنَّها تحقق له الغرض الذي اشتراها من أجله تساوما على الثمن، حتى استقرَّا على ما رضياه آخرًا، وأخذ البائع الثمن، واستلم المشتري الأرض، وهما مسرورين.

مضى البائع إلى حال سبيله، وجلس المشتري إلى أرضه يبني في ظلِّها أحلامه الجميلة التي اشتراها من أجلها، وفي يوم من الأيام قرَّر البدء في العمل، وبينما هو يعمل فيها إذ عثرت قدمه بشيء في باطن الأرض، فتش بيديه فيما تحت رجليه، فإذا هو يجدني أمامه، جرَّة عظيمة، استخرجني، وفتح فمي، فوجد في بطني كنزًا عظيمًا، لقد وجد بطني محشوًا ذهبًا كثيرًا، فلما رآه لم يشكَّ في أنه ملك لصاحبه البائع الذي باعه الأرض،

وقرَّر أن يبحث عنه وأن يعيده إليه، وبالفعل ذهب هذا المشتري الأمين إلى أخيه البائع، وحين قابله أخبره بالأمر، فتعجَّب البائع من ذلك، وكان هو الآخر أمينًا جدًّا، فقال لصاحبه: أنا لم أضع هذا الذهب في بطن الجرَّة ولم أخبِّئها في الأرض التي بعتها لك، وما دمت أنت الذي وجدته فهو ملك لك، فخذه بارك الله لك فيه، فقال له الذي اشترى الأرض: لكني لم أشتر هذا الذهب، إنما اشتريت الأرض فقط ولم أشتر منك الذهب، فخذ ذهبك مني.

وقال البائع: إنما بعتك الأرض وما فيها.

وظلَّ هذا الرجلان الأمينان في حوارهما هذا، البائع يقول للمشتري خذ الذهب أنت صاحبه لأنك اشتريت الأرض وما فيها.

والمشتري يقول للبائع: بل خذه أنت، فأنت أحق به، لأني وجدته في أرضك، ولأني اشتريت الأرض فقط، وأعطيتك ثمنها، ولم أشتر هذا الذهب ولم أعطك ثمنه، فهو لك وأنت أحق به!

ولما لم ينتهِ أمرُهما إلى قولٍ حاسم، قررا أن يتحاكما إلى عالم، فهما يخافان من المال الحرام، ولا يريد كل واحد منهما أن يأخذ شيئًا ليس من حقِّه.

وبالفعل ذهبا إلى هذا العالم، وكان عظيم الحكمة، فلما رأى صدقهما وأمانتهما وحرصهما على مصلحة ومنفعة بعضهما، رأى بواسع حكمته أنه لا ينبغي أن يكون هذا آخر العلاقة بينهما، ولهذا قرر أن يربط بينهما برباط يبقى أثره إلى الأبد، ويكون فيه أيضًا حلَّ المسألة التي بينهما وانتفاعهما معًا بالذهب دون ضياعه على واحد منهما، ومن هنا قال لهما معًا: ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لي صبي، وقال الآخر: لي بنت، ففرح العالم الحكيم وقال: زوِّجوا الصبي البنت وأنفقوا عليهما من هذا الذهب، وتصدقا منه على الفقراء والمساكين[1].

ونظر الرجلان فوجدا فيما قاله العالم كلَّ الخير، ففعلا ذلك، وعاشا في سعادة وسرور.

وهكذا يا أحباب لا يخلو الناس أبدًا من الصدق والأمانة

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٢٨٥)، ومسلم (١٧٢١).

وصفات الخير، ويجب أن نكون كذلك ليبارك الله لنا، فلنتخلق بالصدق، ولنتحل بالأمانة، ولا نكذب في أحاديثنا أبدًا، ولا نقول إلا الحقيقة.

وإلى لقاء بإذن الله مع قصَّة جميلة أخرى يا أصدقائي.

(١٦) من أخلاقي

خُلق التعاون

القصواء

هذا هو اسمي

ناقة من النُّوق

لكنني لست مثل كلِّ النُّوق!

فأنا ناقة شرفت بحمل رسول الله ﷺ.

وهو شرف عظيم.

هل تدرون معنى القرب من رسول الله ﷺ في وقت طويل كالسفر؟

إنها نعمة كبيرة وصحبة عظيمة.

وقد حباني الله وشرَّفني بهذه النعمة إذ كنت الأثيرة من بين النوق لدى رسول الله ﷺ.

وهذا بعض معنى اسمي، فمعنى القصواء: الناقة التي أقصاها صاحبها عن العمل والخدمة ولم يرسلها للمرعى، وذلك لسمو مكانتها عنده، ولكى تظل أمام عينيه لا تغيب عنها ليرعاها.

لقد كنت الناقة المفضلة عند رسول الله ﷺ وذلك بسبب قوتي وسرعتي وطبعي الأصيل.

لهذا كنت مطية الرسول ﷺ في كلِّ الأسفار، وحضرت معه كلَّ المواقف، في الهجرة، وفي الغزوات، وفي الحج والعمرة، وفي سائر المواقف.

لكم كنت سعيدة بهذه الصحبة، ولديَّ من القصص التي شاهدتها مع النبي الكثير والكثير!

هل أحكي لكم بعضها؟

أرى عيونكم تلمع شوقًا لقصصي الجميل، وسأختارُ لكم منها قصة طريفة ظريفة، فيها فوائد كثيرة، وهي تدور حول قيمة التعاون، فالإسلام يحبُّنا متعاونين، ويرغبنا في ذلك، ويحثنا عليه.

هل تعلمون يا أحبابي أن أول عمل قام بن النبي ﷺ في المدينة هو بناء مسجده الشريف، وقد تم بناء مسجد رسول الله ﷺ بالتعاون؟

إي والله، بُني بالتعاون!

ولأقصَّ عليكم قصة ذلك من البداية.

خرجنا من مكة في الهجرة قاصدين إلى المدينة، كان أبو بكر الصديق قد أعدَّ راحلتين واحدة له والأخرى لنبينا ﷺ، لأجل الهجرة عليهما، وأخبر النبيَّ ﷺ بأن راحلته هديّةً منه، لكنَّ النبي ﷺ رفض أن يأخذها إلا شراءً بالثمن، فدفع ثمنها لأبي بكر وأخذها، وهكذا يا أحباب ركب أبو بكر واحدة وركب نبينا الأخرى، وهذه التي ركبها النبي هي أنا، ناقته القصواء، ومن يومها لم أفارقه ﷺ حتى رحل عن الدنيا.

مضينا في طريق الهجرة حتى وصلنا المدينة بعد أيام وليال، وفي المدينة كان المسلمون ينتظرون وصول النبي ﷺ، فلما رأوه وسلموا عليه كان كل واحد منهم يرغب أن ينزل

النبي ضيفًا عليه، يجلس في بيته فيستريح ويأكل ويشرب، وكانوا جميعًا كرماء شديدي الكرم.

كان النبي ﷺ يمضي في طريقه والناس يمسكون بزمامي يريدون أن أقف وأن ينزل النبي ضيفًا عندهم فكان يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة!

لقد كان يُمضَى بي إلى غايتي وأساق إلى هدفي، إلى أن مررنا بدار بني مالك بن النجار، فبركتُ على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مكان خرب يملكه غلامان اسمهما سهل وسهيل، وكان فيه نخل ومكان تبيت فيه الأغنام.

في هذا المكان توقفتُ ثم بركتُ، لكن رسول الله ﷺ بقي على ظهري ولم ينزل، فقمت ومشيت غير بعيد ولم يثنني ﷺ، ثم التفتُّ خلفي ورجعت إلى مكاني الأول، فبركت واستقر بي المقام، فنزل رسول الله ﷺ عني.

وجاء أبو أيوب الأنصاريُّ فحمل أمتعة رسول الله ﷺ وأشياءه وذهب بها إلى داره، فنزل رسول الله ﷺ ضيفًا عليه،

وهناك سأل عن المكان الذي توقفنا فيه وأراد أن يتخذه مسجدًا، فاشتراه من بني النجار بعد أن وهبوه له دون ثمن فأبى قبوله.

دفع النبي ﷺ ثمن المكان وأخبر الصحابة رضوان الله عليهم بأنَّه سيبنيه مسجدًا وفرح الصحابة فرحًا كبيرًا، وبدأوا في التعاون لتنظيف المكان وبناء المسجد.

ويا للعجب من هذه الروح التي كانت تجمعهم، والألفة التي كانت تربط بينهم، والتعاون الذي جعلهم كرَجلٍ واحد تساعده رجلاه ويداه وسائرُ أعضائه!

لقد كانوا كثيرين في العدد لكنهم في العمل كأنهم واحد، يساعد بعضهم بعضًا ويعاون بعضهم بعضًا.

كان بعضهم يقلع الحشائش من الأرض ومن ورائهم آخرون يحملونها إلى خارج المكان وغيرهم يحملها على ناقته أو فرسه إلى خارج المدينة، ثم قاموا بتنظيف المكان وتجريفه وحفره، وزرعوا جذوع النخل أعمدة يقوم عليها البناء، وبينها بنوا الجدران من الحجارة، وفوقها وضعوا السقف من الجريد.

لقد ساهم الجميع في بناء المسجد، وساهم نبينا ﷺ في بنائه بنفسه، فكان ينقل الطوب اللَّبِن والحجارة ويقول:

اللَّهُمَّ لا عيش إلا عـيش الآخـرة
فـــاغفر للأنصـــار والمهـــاجرة

وكان يقول:

هذا الحِمال لا حمال خيبر هـــذا أبـــر ربنـــا وأطهـــر

وكان عمله ﷺ مما يزيد نشاط الصحابة في البناء حتى إن أحدهم ليقول:

لـئن قعـدنا والنبـيُّ يعمـل لـذاك منَّـا العمـل المضـلَّلُ

وقد عمل المسلمون جميعهم في المسجد حسبة لله عَزَّوَجَلَّ لم يتقاضوا على عملهم أجرًا.

وهكذا تمَّ بناء مسجد رسول الله ﷺ بالتعاون، والتآخي، والمساهمة، فالتعاون خلق إسلامي أصيل.

(١٧) القدس أمانتي

أثق أنكم تعرفونني

وكثيرًا ما ترونني

فأنا موجود في كل بيت من بيوت الفلاحين

شهير أنا في جميع الأوساط!

يقضي الناس حاجاتهم على ظهري

وأتولَّى عنهم حمل الأشياء وأنا سعيد بأداء وظائفي

وجميع الأطفال مثلكم يحبون أن يمتطوا ظهري ويركبوا فوقي

هم يستمتعون بذلك جدًّا وأنا أفرح لفرحهم وأسعد لسعادتهم

ولهذا أعطيهم ظهري، وأعطيهم حكاياتي أيضًا

لديَّ حكايات كثيرة

هل أحكي لكم بعضها؟

تشتاقون لسماع قصة من قصصي

جميل!

إذًا سوف أحكي لكم قصَّة جدٍّ من أجدادي القدامى

حدثت معه قصَّة عظيمة غاية في العجب

فقد خرج هو وصاحبه يومًا في بعض الطرقات، كان اسم صاحبه (عزير) وكان عبدًا صالحًا حكيمًا، ظلا يسيران حتى أتيا قرية، فلما قامت الظهيرة وأصابه الحرُّ أتى إلى مكان خرب فيها، وحين دخلها نزل عن حماره وكان معه سلتان؛ سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فأنزل ذلك الطعام عن ظهر حماره، وجلس يأكل؛ أخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة، ثم أخرج خبزًا يابسًا معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله، ثم استلقى على ظهره وأسند رجليه إلى الحائط، فنظر إلى سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي خاويةٌ على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظامًا بالية فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فلم يشك أن الله يحييها ولكن

قالها تعجبًا فبعث الله ملك الموت فقبض روحه، فأماته الله مائة عام!

ويا للعجب!

ظلَّ مائة عام ميتًا، فاقدًا للحياة؛ لا يحس، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يتحرَّك.

فلما أتت عليه مائة عام، بعث الله إلى عُزير ملكًا فخلق قلبه ليعقل وعينيه لينظر بهما فيرى كيف يحيي اللهُ الموتى.

ثم ركب عظامه وهو ينظر ذلك ويراه، ثم كسا عظامه اللحم والشعر والجلد، ثم نفخ فيه الروح، كل ذلك وهو يرى ويعقل!

وفي النهاية استوى عزير جالسًا.

فقال له الملك: كم لبثت؟ هل تعرف كم سنة ظللت ميتًا ثم أحياك الله بعدها؟

قال عزير: لبثت يومًا أو بعض يوم، وذلك أنه كان لبث بعض ساعات من النهار عند الظهيرة فأماته الله وقتها ثم بعث

في آخر النهار والشمس لم تغب ولكن بعد مائة عام. فقال له الملك: بل لبثت مائة عام، والدليل على ذلك أن تنظر إلى طعامك وشرابك، وترى ما حصل بهما؛ انظر إلى الخبز اليابس لم يتغير، وانظر أيضًا إلى التين والعنب إنه غضٌّ لم يتغير شيء منه كذلك.

ثم قال له الملك: انظر إلى حمارك.

فنظر إلى حماره فرآه قد بليت عظامه وصارت نخرة.

فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبت فوق بعضها، وعزير ينظر إليه ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك الروح فقام الحمار رافعًا رأسه وأذنيه إلى السماء!

وذلك كله بأمر من الله وتدبيره.

عرف عزير الحقيقة ثم ركب حماره حتى أتى القرية التي كان يسكن فيها، فلم يعرفه أحد من الناس وهو لم يعرف

أحدًا منهم، وأخبرهم من هو لكنهم لم يصدقوه!

فانطلق حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مُقْعَدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير؟

قالت: نعم هذا منزل عزير.

فبكت وقالت: ما رأيت أحدًا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرًا وقد نسيه الناس.

فقال لها: إني أنا عزير كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني.

قالت: سبحان الله! فإن عزيرًا قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر.

قال: فإني أنا عزير.

قالت: فإن عزيرًا رجلٌ مستجابُ الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادع الله أن يرد عليَّ بصري حتى أراك فإن كنت عزيرًا عرفتك.

قال: فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا، وأخذ بيدها

وقال: قومي بإذن الله.

فأطلق الله رجليها، فنظرت فقالت: أشهد أنك عزير.

وانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم، فنادتهم فقالت: هذا عزير قد جاءكم.

فكذبوها.

فقالت: أنا فلانة دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه.

قال: فنهض الناس فأقبلوا إليه فنظروا إليه فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه.

فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير.

فقالت بنو إسرائيل لعزير: إنه لم يكن فينا أحد قد حفظ التوراة وقد حرق الملك الظالم (بختنصر) التوراة ولم يبق منها شيء، فاكتبها لنا.

وكان والد عزير قد دفن التوراة أيام (بختنصر) في موضع لم يعرفه أحد غير عزير، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره

فاستخرج التوراة وكان الورق قد عفن.

وجلس عزير في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله وتذكر عزير ما نقص من التوراة فجددها لبني إسرائيل.

هل تعرفون القرية الخربة التي مرَّ عليها العزير وتعجب إن كان الله يحيي هذه الأرض مرَّة ثانية؟

إنها مدينة القدس، التي تقع اليوم في فلسطين، الدولة العربية الإسلامية العظيمة، والقدس مدينة عظيمة عزيزة على كلِّ مسلم، ففيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهي الأرض المباركة التي ذهب رسول الله ﷺ إليها في رحلة الإسراء والمعراج، وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الرحلة في كتابه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء:١].

وهي أمانة النبي ﷺ ومن بعده الصحابة والقادة والمسلمون الأوائل، وحمايتها وصيانتها واجب على كل مسلم، فهي أولى

القبلتين لأن النبي ﷺ صلى إلى جهتها أولًا ثم أمره الله بعد ذلك بالتوجه إلى البيت الحرام.

والقدس هي ثالث الحرمين، فالحرم الأول هو المسجد الحرام الذي فيه الكعبة في مكة، والحرم الثاني هو المسجد النبوي الذي بناه الرسول ﷺ في المدينة، والحرم الثالث (المسجد الأقصى).

هذه قصة جدِّي الأكبر الذي كان أطول نوعنا عمرًا، فقد عاش فوق مائة سنة!

حدثت قصته مع نبي الله العزير، وسجَّلها القرآن في هذه الآية من سورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

وفي الختام

وفي الختام -يا أشبال الإيمان- سعدت كثيرًا بصحبتكم -أحبتي- في هذه الجولة الجميلة حول حدائق الإيمان وأزهار الإسلام ورياحين الأخلاق والآداب.

وأرجو أن تكونوا قد استمتعتم معي بهذا الكتاب الجميل وما فيه من فوائد كثيرة،

وآمل أن نلتقي قريبًا في جولة أخرى نسعد معها بصحبة آيات القرآن الكريم ونور سنَّة نبينا خير المرسلين ﷺ، وجمال أخلاق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والمؤمنين، نلتقي فيه على لذَّة جديدة ومتعة أكيدة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحتى هذا الموعد أحييكم بتحية الإسلام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عمُّكم أحمد

فهرس

الموضوع الصفحة

إهداء ٥

مقدمة ٧

١) الله ربِّي..... ١١

٢) محمد نبيي..... ١٣

٣) الإسلام ديني..... ١٦

٤) الكعبة قبلتي..... ٢٥

٥) القرآن كتابي ٣١

٦) الصحابة قدوتي..... ٣٥

٧) أحبُّ ملائكة ربي ٤١

٨) أنا أؤمن بجميع رسل الله ٤٦

٩) أنا أؤمن باليوم الآخر..... ٥٠

١٠) صلاتي هي حياتي..... ٥٥

١١) من أركان الإسلام حجّ البيت الحرام..... ٥٩
١٢) قرة عيني أمي وأبي..... ٦٤
١٣) أذكاري..... ٦٨
١٤) من أخلاقي: خُلُق الصِّدق..... ٧٤
١٥) من أخلاقي: خُلُق الأمانة ٧٨
١٦) من أخلاقي: خُلُق التعاون ٨٣
١٧) القدس أمانتي..... ٨٩
وفي الختام ٩٧
فهرس ٩٨

هذا الكتاب

رحلة قصصية ممتعة، مع أركان الإيمان وأصول الإسلام، نستمتع خلالها بصحبة النبي ﷺ وصحابته الكرام، ونتعرف على قِيم الإسلام العظيمة وأخلاقه الكريمة، ونتعلم واجباتنا نحو ربِّنا ونبيِّنا ﷺ ووالدينا وأمتنا.

غايته: الله وأن يُدخلنا الجنَّة.

وهدفه: تربية جيل مسلم يتعرَّف دينه ويحبُّه ويعمل به.

ووسيلته: القصص الممتع المشوِّق.

وقد سقت هذه القصص على ألسنة الأطفال والحيوان والطير لتعذُب حكايتها وروايتها، وذيَّلتها بفوائد عذبة لتروي قارئها وتثمر في عقله وقلبه ثمرتها.

أسأل الله تعالى أن يتقبَّلها بقبول حسن، وأن ينبت ثمارها في قلوب الناشئة نباتًا طيبًا، وأن ينفع بهذه الثمار في نصرة الإسلام وعز المسلمين.

أحمد الجوهري عبد الجواد